**المحاضرة العاشرة: النّقد النّفسي**

اهتمّ هذا المنهج بدراسة الجوانب المتعلّقة بنفسية الفنّان أو الباحث، ويقوم هذا النّوع من الدّراسة على التّحليل النّفسي للأثر الأدبي، وذلك بشرح الجوانب الشّخصية لدى الفنّان وتفسير أحاسيسه، ليتسنّى له إعطاء فكرة عن المركب النّفسي الخاصّ به. وهو يؤدّي حسب "بودوان" إلى اكتشاف عناصر وتقييم أمور، من خلال توضيح الجانب السّيكولوجي لدى الكاتب. وقد استفاد النّقاد من النّتائج الّتي توصّل إليها زعماء مدرسة التّحليل النّفسي بريادة "سيـﭭوند فرويد"، ممّا أدّى إل تفسير الدّلالات الكامنة وراء الأعمال الفنّية، ويطالب هؤلاء بعدم المبالغة في تطبيق هذه النّتائج والتّحاليل النّفسية، حتّى لا تتحوّل الدّراسة الأدبية إلى دراسة نفسية بحتة. وقد عبّر العقّاد بصريح العبارة تبنّيه المنهج النّفسي في أكثر من موضع في كتاباته، فيقول: «ومدرسة التّحليل النّفسي أقرب المدارس إلى الرّأي الّذي ندين به في نقد الأدب ونقد التّراجم والدّعوات الفكرية جمعاء، لأنّ العلم بنفس الأديب أو البطل التّاريخ يستلزم بمقوّمات هذه النّفس من أحوال عصره وأطر الثّقافة والفنّ فيه».

**أسس المنهج النّفسي:**

هي مستقاة من مدرسة التّحليل النّفسي لـ "فرويد"، وتتمثّل في:

**أوّلا: دوافع العمل الأدبي**

هي أن يدرس الباحث الدّوافع الّتي دفعت الفنّان إلى إنجاز أعماله الفنّية، وهي دوافع طبيعية أوضحها الدّافع الجنسي والكبت، وهي رغبة تتمثّل في الأحلام بصفة عامّة، سواء تحقّقت أم لا، وفي هذه الحالة الأخيرة تبقى أسيرة في سياج اللّاشعور، تتحيّن فرصة الظّهور للوصول إلى الجزء الكامل باستخدام طريقة التّحليل النّفسي القائمة على التّداعي الحرّ.

وإذا أردنا الاستشهاد بقصّة "كراديفاليانس" دليلا على نظرية "فرويد" في الأحلام وعلاقتها بالعمل الأدبي.

تدور أحداث القصّة الّتي خصّ بها "فرويد"، المعنونة بـ "هذيان وأحلام" حول الموضوع التّالي: اكتشف عالم آثار في مجموعة من العاديات في روما تمثالاً صغيراً، حاز على إعجابه الشّديد، كان يمثّل صورة فتاة في مقتبل العمر تمشي وقد رفعت قليلا ذيل ردائها كثير الثّنايا، إحدى القدمين مبسوطة أرضاً، والثّانية على وشك الانطلاق، فلا تمسّ الأرض إلّا بطرف إبهام القدم».

ويرى "فرويد" أنّ هذه المشية الرّشيقة غير المألوفة هي الّتي لفتت انتباه الفنّان و«اهتمام البطل بهذه المنحوتة يشكل الواقع النّفسي الرّئيسي في مبنى القيمة».

أمّا دراسته التّحليلية الثّانية، فكانت دراسة لحالة مرضية، عانى منها "ليوناردو ديفنشي"، إذ كان الاضطراب النّفسي ناتجاً عن الظّروف الّتي عاشها هذا الفنّان في طفولته، منها: الإيثار المبكّر للفضول الجنسي، والّذي أدّى به إلى التّعطش العامّ للمعرفة، كما أنّه ظهر كمتنفّس لرغبته الجنسية» في رائعة "الموناليزا"، فلمّا قابل المرأة الّتي أيقظت فيه ذكرى ابتسامة أمّه الفاتنة السّعيدة الشّهوية، وتحت تأثير هذا التّيقظ، استعاد المنبّه الّذي هدّأه في بداية مجهوداته الفنّية، حينما رسم المرأة مبتسمة... وهكذا نستشفّ أنّ هناك رابطاً نفسياً، يجمع بين خبرات الطّفولة والنّتاج الفنّي، هذا الأخير الّذي تتجسّد فيه صور الغفلة اللّاإرادية، وهذا عندما يتّخذ الفنّان من الرّسوم والرّموز وسيلة للتّعبير عن رغباته المكبوتة.

**دراسة العملية اللّاشعوية:**

أي دراسة ما أصبح مكبوتاً في اللّاشعور.

يقول "هوسمان": «إنّني أعتقد أنّ إنتاج الشّعر عملية فيها من الانتباه أقلّ ما فيها من الغفلة اللّاإرادية، ويدرس هذا الدّافع لبيان شخصية الكاتب، وقد أطلق عليه علماء النّفس: العقل الباطن، الّذي يحوي مجموع المكبوتات المختبئة في ساحة اللّاشعور، انطلاقاً من هنا، يعرّف "فرويد" الكبت، فيقول: «هو فشل الرّغبات في تحقيق ذاتها وإشباع حاجياتها ومتطلّباتها...». بالإضافة إلى التّقوى النفسية المتصارعة والمتحكّمة هي الأخرى في توجيه السّلوك، وهي الهو، الأنا والأنا الأعلى.

* **الهو:** الأهواء والرّغبات والشّهوات؛
* **الأنا:** العقل أو الإدراك؛
* **الأنا الأعلى:** الضّمير والعادات والتّقاليد.

وفي نظرية "فرويد" هناك صراع دائم بين الهو (الأهواء) والأنا الأعلى (الضّمير)، فإذا استطاع العقل (الأنا) التّحكم في أهوائه وشهواته، فسينتج فرد سوي في المجتمع، أمّا إذا كان العقل (الأنا) في درجة منخفضة من الوعي، فتكون نتيجة الصّراع لصالح الهو (الأهواء)، فينتج فرد غير سوي.

وحسب "فرويد" إذا استطاع العقل التّدخل وسم الصّراع لصالح الأنا الأعلى، فهل تختفي رغباته؟ لا تختفي، بل تخزّن كلّ هذه الأهواء والرّغبات وحتّى ذكريات الطّفولة وتجاربه في العقل الباطن (اللّاوعي) أو تخرج في صورتين.

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الصّورة (01)  ↓  أحلام  لا يستطيع الإنسان تحقيق رغباته في أرض الواقع، فتحقّق عن طريق الأحلام. |  | الصّورة (02)  ↓  إنتاج إبداعي  اتّخذ النّقاد هذه المنطقة من اللّاوعي عند الأديب لمحاولة كشف خلفياته وتجاربه المؤلمة ورغباته وأمراضه النّفسية، فيقوم بتحليلها ليرى مدى انعكاساتها في النّتاج الإبداعي. |

**الأمراض النّفسية وأثرها في الإبداع الأدبي:**

**العصاب:** مرض نفسي أو وظيفي، ينطوي على مجموعة من الأعراض النّفسية، كالانفعالات المكبوتة والصّدمات والصّراع الدّاخلي، وتفرّق مدرسة التّحليل النّفسي بين عصاب نفسي المنشأ وآخر عضوي المنشأ.

كما ربطت بين بعض الأمراض والجانب الأدبي، فكلّا كان الفنّان عصابياً، كلّما كان محتوى عمله الفنّي عصابياً.

يقول "ترولينغ": «إنّ الحصول على المقدرة الفنّية لا يكون إلّا بمعاناة، لأنّه ليس من شكّ في أنّ ما نسمّيه مرضاً عقلياً، يمكن أن يكون مصدراً للمعرفة الرّوحية. وبعض العصابيين من النّاس قادرين على رؤية أجزاء معيّنة من الواقع أكثر ممّا يستطيع غيرهم». فالأديب العصابي يدرك الواقع أكثر من غيره.

وقد درس "فرويد" شخصية "دوستويفسكي" دراسة طبّية نفسية، ميّز فيها أربعة وجوه: خالق – أخلاقي – عصابي وآثم، ويؤكّد "فرويد" عصاب هذا الفنّان من خلال تحليل مواقف الكراهية والحبّ نحو أبيه وكبتها تحت تأثير التّهديد. وقد كان "دوستويفسكي" يسمّي نفسه مصروعاً لنوباته الحادّة الّتي كانت تنتابه مصحوبة بفقدان الشّعور، كما كانت تنتابه نوبات هستيرية حادّة، وما أبدعه هذا الفنّان لا يمثّل إلّا مظاهر تركيبه النّفسي منذ الطّفولة، إنّه كان يريد أن يتخلّص من أبيه ويمتلك أمّه، شأنه شأن "سفوكليس" و"شكسبير".

**النّرجسية:**

هي الإفراط في الإعجاب بالذّات وعشقها وتقديرها، تنسب إلى شخصية الفتى المدلّل "نرسيس" في الأسطورة الإغريقية القديمة، إذ وقع في حبّ خياله الّذي تراءى له في صفحة الماء.

قرّر العقّاد أنّ شخصية "أبي نوّاس" نرجسية من خلال أعراض ثلاثة لاحظها في شِعره:

1. **التّلبيس:**

هو ضرب من التّقمص في علم النّفس، حيث يتمّ دمج الذّات في شخص ثانٍ، وقد لاحظ العقّاد هذه الظّاهرة في غزل "أبي نوّاس"، كإعجاب هذا الأخير بغلام لا يحسن نطق الرّاء، وإعجابه بآخر تميّزه بحّة صوته.

1. **الارتداد:**

ونعني به استعارة النّرجسي ما ليس عنده من السّمات الشّخصية، حيث يتمثّلها هذا الشّخص الّذي يحبّه، ظنّاً منه أنّ تلك السّمات من سماته الشّخصية.

1. **العرض:**

يتعلّق العرض بنظم الشّعر، إذ أنّ "أبا نوّاس" لم ينظّم شعراً في الخمريات أو الغزل إلّا تبيّناً منه أنّ الجهر بالمحرّمات أدنى إلى هواه من المتعة بها.

وقد اعتمد "العقّاد" معايير في تحليل نفسية الشّاعر:

أ- الصّورة الشّعرية ج- الصّورة الجسدية

ب- الصّورة النّفسية د- مفتاح الشّخصية.